

مِنْ أَجْلِ ثَقَافَةِ شِيعِيَّةِ أَصِيلَةٍ

مِنْ أَجْلِ وَعْيٍ مَهْدَوِيٍّ رَاقٍ

# عَلَى ضِفَافِ الْحُرُوفِ عَيْنِيَّةُ الْجَوَاهِرِي

عَبْدُ الْحَلِيمِ الْغَزِّي

منشورات موقع القمر

# على ضفاف الحُرُوف عَيْنِيَّة الجَوَاهِرِي

يوم الجمعة

بتاريخ: 20 صفر 1439 هـ

الموافق: 10/11/2017 م

يا زفراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# على ضفاف الحروف عينية الجواهري

كلمة الشيخ عبد الحلیم الغزّی  
في أربعينية الإمام الحسين صلوات الله عليه

هيئة زهراييون / السويد / ستوكهولم

## شرح عينية الجواهري

نُجِدُّ العَهدَ والوَلاءَ لِإِمامِ زَمانِنا الحُجَّةِ بنِ الحَسَنِ العِسكريِّ صَلَواتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَیْهِ بِالصَّلَاةِ عَلَی مُحَمَّدٍ  
وَآلِ مُحَمَّدٍ..

## يا زهراء

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَلَامٌ عَلَی رَأْسِكَ المَرْفُوعِ يَا حُسَيْنَ..

في الليلة الماضية قرأتُ على مسامعكم عينية الجواهري والتي تصل أبياتها إلى أربعة وستين بيتاً، شرحتُ منها  
شرحاً موجزاً مختصراً ثلاثة وثلاثين بيتاً، ما يتجاوزُ نصفها بشيء قليل، بقي من القصيدة واحدٌ وثلاثون بيتاً  
سأتناولها في هذه الليلة بنفس طريقتي من الشرح والبيان الموجز المختصر.

لأجل أن تتواصل المعاني والمضامين سأعيدُ قراءة العينية مرةً أخرى:

(آمنتُ بالحُسين)

تَنوِّرُ بِالْأَبْلَجِ الأُرُوعَ  
رَوحاً وَمِنْ مِسْكِهَا أَضوَعُ  
وَسَقْفُاً لأَرْضِكَ مِنْ مَصَرَعِ  
عَلَى نَهْجِكَ النَّيِّرِ المَهْيَعِ  
مَا أَنْتَ تَأْبَاهُ مِنْ مُبَدَعِ  
فَدّاً إِلَى الآنَ لَمْ يُشْفَعِ  
لِلْأَهِينَ عَن عَدِمْ قُنْعِ  
وَبُورِكَ قَبْرِكَ مِنْ مَفزَعِ  
عَلَى جَانِبِيهِ وَمِنْ رَكْعِ

فِدَاءً لِمِثْوَاكَ مِنْ مَضْجَعِ  
بِأَعْبَقٍ مِنْ نَفْحَاتِ الجِنَانِ  
وَرَعِيّاً لِيَوْمِكَ يَوْمِ الطُفُوفِ  
وَحُزْناً عَلَيكَ بِحَبْسِ النُّفُوسِ  
وَصَوْناً لِمَجْدِكَ مِنْ أَنْ يُذَالَ  
فِيهَا أَيُّهَا الوِترُ فِي الخَالِدِينَ  
وَيَا عِظَةَ الطَّامِحِينَ العِظَامِ  
تَعَالَيْتَ مِنْ مَفزَعٍ لِّلْحَتُوفِ  
تَلَوْدُ الدُّهُورِ قَمِنْ سُجْدِ

شَمَمْتُ ثَرَاكَ فَهَبَ النَّسِيمُ  
وَعَفَّرْتُ خَدِّي بِحَيْثُ اسْتَرَاخَ  
وَحَيْثُ سَنَابُكُ خَيْلِ الطُّغَاةِ  
وَحِلْتُ وَقَدْ طَارَتِ الذُّكْرِيَاثُ  
وَوُطِفْتُ بِقَبْرِكَ طُوفَ الْخِيَالِ  
كَأَنَّ يَدًا مِنْ وَرَاءِ الضَّرِيحِ  
تُؤَدِّي إِلَى عَالَمٍ بِالْخُنُوعِ  
تَخَبُّطُ فِي غَابَةِ أَطْبَقَتِ  
لِتُبَدِّلَ مِنْهُ جَدِيبَ الضَّمِيرِ  
وَتُدْفَعُ هَذَا النَّفُوسَ الصَّغَارِ  
تَعَالَيْتَ مِنْ صَاعِقِي يَلْتَضِي  
تَأْرَمُ حَقْدًا عَلَى الصَّاعِقَاتِ  
وَلَمْ تَبْذُرِ الْحَبَّ إِثْرَ الْهَشِيمِ  
وَلَمْ تُخْلِي أَبْرَاجَهَا فِي السَّمَاءِ  
وَلَمْ تَقْطَعْ الشَّرَّ مِنْ جِذْمِهِ  
وَلَمْ تَصْدَمْ النَّاسَ فِيمَا هُمْ  
تَعَالَيْتَ مِنْ قَلْبِكَ قُطْرُهُ  
فِيَا ابْنَ الْبَتُولِ وَحَسْبِي بِهَا  
وَيَا ابْنَ الْآتِي لَمْ يَضَعْ مِثْلَهَا  
وَيَا ابْنَ الْبَطِينِ بَلَا بَطْنَةٍ  
وَيَا غُصْنَ هَاشِمٍ لَمْ يَنْفَتَحْ  
وَيَا وَاصِلًا مِنْ نَشِيدِ الْخُلُودِ

نَسِيمُ الْكَرَامَةِ مِنْ بَلْقَعِ  
خَدِّ تَفَرَّرِي وَلَمْ يَضْرَعْ  
جَاءَتْ عَلَيْهِ وَلَمْ يَخْشَعْ  
بِرُوحِي إِلَى عَالَمٍ أَرْفَعُ  
بِصُومَةِ الْمَلِكِ الْمُبْدِعِ  
حَمْرَاءَ مَبْتُورَةِ الْإِصْبَعِ  
وَالضَّيْمِ ذِي شَرْقٍ مُتْرَعِ  
عَلَى مُذْنِبٍ مِنْهُ أَوْ مُسْبِعِ  
بِآخِرِ مَعْشَوْشِبٍ مُمْرَعِ  
خَوْفًا إِلَى حَرَمٍ أَمْنَعِ  
فَإِنْ تَدْجُ دَاجِيَةٌ يَلْمَعُ  
لَمْ تُنْءِ صَافِرًا وَلَمْ تَنْفَعِ  
وَقَدْ حَرَّقَتْهُ وَلَمْ تَزْرَعْ  
وَلَمْ تَأْتِي أَرْضًا وَلَمْ تُدْقِعِ  
وَعَلَّ الضَّمَائِرِ لَمْ تَنْزِعِ  
عَلَيْهِ مِنَ الْخُلُقِ الْأَوْضَعِ  
يَدُورُ عَلَى الْمَحُورِ الْأَوْسَعِ  
ضَمَانًا عَلَى كُلِّ مَا أَدَّعِي  
كَمِثْلِكَ حَمَلًا وَلَمْ تُرْضِعِ  
وَيَا ابْنَ الْفَتَى الْحَاسِرِ الْأَنْزَعِ  
بِأَزْهَرِ مَنْكَ وَلَمْ يُفْرِعِ  
خَتَامَ الْقَصِيدَةِ بِالْمَطْلَعِ

يسيرُ الوري بركابِ الزمانِ  
 وأنتِ تُسيرُ ركبَ الخلودِ  
 تمثّلتِ يومك في خاطري  
 ومحصّتُ أمرك لم ارتهب  
 وقُلتُ لعلّ ذوي السنين  
 وما رتل المخلصون الدّعاء  
 ومن ناثراتِ عليك المساء  
 لعلّ السّياسة فيما جنت  
 وتشريدها كُـلّ من يدلي  
 لعلّ لـذاك وكونُ الشّجي  
 يداً في اصطباغ حديثِ الحسين  
 وكانت ولما تزل برزة  
 صنّاعاً متى ما تُرد خُطّة  
 ولما أزحت طلاء القُرونِ  
 أريدُ الحقيقة في ذاتها  
 وجدّتك في صورةٍ لم أرع  
 وماذا أروع من أن يكون  
 وأن تتقي دون ما ترتئي  
 وأن تُطعم الموت خير البنين  
 وخير بني الأمّ من هاشم  
 وخير الصّحابِ بخير الصّدورِ  
 وقدّستُ ذكراك لم أنتحل

من مُستقيم ومن أطلع  
 ما تستجدّ له يتبع  
 ورددتُ صوتك في ممع  
 بنقل الرواة ولم أخدع  
 بأصداء حادثك المّفجع  
 من مُرسّلين ومن سَجّع  
 والصّبح بالشّعر والأدمع  
 على لاصق بك أو مدّع  
 بحبل لأهلك أو مقطع  
 ولوعاً بكُلّ شجّ مولّع  
 بلونٍ أريد له مُمتع  
 يدُ الواثق المملجأ الألمع  
 وكيف ومهما تُرد تصنع  
 وسِتر الخداع عن الممخدع  
 بغير الطبيعة لم تُطبع  
 بأعظم منها ولا أروع  
 لحمك وقفاً على المبضع  
 ضميرك بالأسّـل الشّـرّع  
 من الأكهلين إلى الرّضّع  
 وخير بني الأب من تُبع  
 كانوا وقاءك والأذرع  
 ثياب التّقاة ولم أدّع

يُضَجُّ بِجَدْرَانِهِ الْأَرْبَعِ  
عَلَيَّ مِنَ الْقَلْقِ الْمُمْفَزِعِ  
وَالطَّيِّبِينَ وَلَمْ يُقَشَّعِ  
تَأْبَى وَعَادَ إِلَى مَوْضِعِ  
إِلَى الشَّكِّ فِيمَا مَعِيَ  
مِنْ مَبْدِئٍ بَدِمَ مُشَبَّعِ  
وَأَعْطَاكَ إِذْعَانَةَ الْمَهْطَعِ  
وَقَوَّمتَ مَا اعْوَجَّ مِنْ أَضْلَعِي  
سِوَى الْعَقْلِ فِي الشَّكِّ مِنْ مَرْجِعِ  
وَفِيضِ النُّبُوَّةِ مِنْ مَنَبَعِ  
تَنْزَهُ عَنْ عَرَضِ الْمَطْمَعِ

تَفَحَّمْتُ صَدْرِي وَرَيْبُ الشُّكُوكِ  
وَرَأَنَ سَحَابَ صَفِيْقُ الْحَبَابِ  
وَهَبَّتْ رِيَّاحُ مِنَ الطَّيِّبَاتِ  
إِذَا مَا تَزَحَّزَحَ عَنْ مَوْضِعِ  
وَجَازِي الشَّكِّ فِيمَا مَعَ الْجُدُودِ  
إِلَى أَنْ أَقَمْتُ عَلَيْهِ الدَّلِيلِ  
فَأَسْلَمْتُ طَوْعاً إِلَيْكَ الْقِيَادِ  
فَنَوَّرْتُ مَا أَظْلَمَ مِنْ فِكْرِي  
وَأَمَنْتُ إِيمَاناً مَنْ لَا يَرَى  
بِأَنَّ الْإِبَاءَ وَوَحْيَ السَّمَاءِ  
تَجَمَّعَ فِي جَوْهَرٍ خَالِصِ

فداء.. فداء لملثواك من مضجع

آخر بيت من أبيات هذه القصيدة العصماء وصلت إليه في الليلة الماضية:

وَأَنْتِ نُسَيْرُ رَكْبِ الْخُلُودِ      مَا تَسْتَجِدُّ لَهُ يَتَّبِعُ  
سأبدأ في هذه الليلة من البيت الذي يليه، لن أشرح الأبيات بشكل موسَّع فذلك يحتاج إلى وقتٍ طويل ولكنني  
سأمر على الكلمات التي هي بحاجة إلى شرح وبيان لمعانيها وربما ذكرت شيئاً من هنا وهناك بنحو موجز:

تَمَثَّلْتُ يَوْمَكَ فِي خَاطِرِي      وَرَدَّدْتُ صَوْتَكَ فِي مَسْمَعِي  
بعد كلِّ البيانات التي تقدَّمت من أول بيت في القصيدة إلى البيت الرابع والثلاثين منها:

وَأَنْتِ نُسَيْرُ رَكْبِ الْخُلُودِ      مَا تَسْتَجِدُّ لَهُ يَتَّبِعُ  
الجواهري رَسَمَ صُورَةً يُمْكِنُ أَنْ أَقُولَ عَنْهَا بَانُورَامَا، البانوراما لوحة تَرْسِمُ الْوَقَائِعَ فِي خُطُوطِهَا الْعَامَّةِ، لَنْ تَدْخُلَ  
فِي التَّفَاصِيلِ الصَّغِيرَةِ جَدًّا، فَالْجَوَاهِرِيُّ مِنْ أَوَّلِ بَيْتٍ إِلَى الْبَيْتِ الرَّابِعِ وَالثَّلَاثِينَ مِنْ عَيْنَيْتِهِ: (أَمَنْتُ بِالْحَسَنِ)  
رَسَمَ لَنَا بَانُورَامَا شَعْرِيَّةً وَانْتَقَلَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى الدَّخُولِ فِي التَّفَاصِيلِ فَمِنْ أَيْنَ سَتَبْدَأُ الْحِكَايَةَ؟ سَتَبْدَأُ الْحِكَايَةَ مِنْ  
هنا:



تَمَثَّلْتُ يَوْمَكَ فِي خَاطِرِي      وَرَدَّدْتُ صَوْتَكَ فِي مَسْمَعِي

هنا يذهبُ الشَّاعِرُ إلى مَلامسةِ التَّفَاصِيلِ فيما جرى على أرضِ الطفوفِ وهذا البيتُ يَجْمَلُ المضمونَ بَكُلِّهِ.

تَمَثَّلْتُ يَوْمَكَ فِي خَاطِرِي- لا يومَ كيومِ الحَسينِ فإذا ما أَرَدْتُ أَنْ أَرَسِمَ صُورَةً فِي خَاطِرِي، فِي مَخِيلَتِي فَلَا بَدَّ أَلَّا أَنْصَبَ مِثَالًا، لَذَلِكَ يَتِمَثَّلُ الشَّاعِرُ مِثَالًا: (تَمَثَّلْتُ يَوْمَكَ فِي خَاطِرِي) المَعْطِيَاتُ الَّتِي يَمْتَلِكُهَا الشَّاعِرُ، الَّتِي يَمْتَلِكُهَا الْإِنْسَانُ وَالَّتِي مِنْ خِلَالِهَا يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَ خَيَالًا، يُرِيدُ أَنْ يَرَسِمَ صُورَةً فِي مَخِيلَتِهِ هَذِهِ المَعْطِيَاتُ سَتَكُونُ مَحْدُودَةً، لَيْسَتْ فِيهَا يَرْتَبِطُ بِوَاقِعَةِ الطُّفُوفِ، فِي كُلِّ وَاقِعَةٍ، فِي كُلِّ وَاقِعَةٍ مِنَ وَقَائِعِ الْحَيَاةِ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَتَخِيلَ تَفَاصِيلَهَا وَلَمْ نَكُنْ جُزْءًا مِنْهَا فَإِنَّ المَعْطِيَاتِ سَتَكُونُ مَحْدُودَةً حِينَئِذٍ فَمَا بَالُكَ فِي يَوْمٍ لَا يَمِثْلُهُ يَوْمٌ.

تَمَثَّلْتُ يَوْمَكَ فِي خَاطِرِي      وَرَدَّدْتُ صَوْتَكَ فِي مَسْمَعِي

وَمَحَصْتُ أَمْرَكَ لَمْ ارْتَهَبْ      بِنَقْلِ الرِّوَاةِ وَلَمْ أَخْذَعْ

فحين تَمَثَّلْتُ هذا اليومَ وَجَدْتُهُ مَهُولًا فَهَلْ أَنَّ الرِّوَاةَ نَقَلُوا الْحَقِيقَةَ؟ هَلْ بِالْخَوَا؟ هَلْ قَصَّروا؟

وَمَحَصْتُ أَمْرَكَ- وَالتَّمَحِيصُ تَنْقِيَةٌ، التَّمَحِيصُ عَمَلِيَّةٌ فَلْتَرَهُ.

وَمَحَصْتُ أَمْرَكَ لَمْ ارْتَهَبْ      بِنَقْلِ الرِّوَاةِ وَلَمْ أَخْذَعْ

(إِنِّي أَبْحَثُ هُنَا عَنِ الْحَقِيقَةِ فِي كُلِّ أَبْعَادِهَا أُرِيدُهَا حَقِيقَةً مِنْ دُونِ رَتُوشٍ) لَسْتُ أَنَا الَّذِي أَقُولُ الشَّاعِرُ هُوَ الَّذِي يَقُولُ، وَالشَّاعِرُ قَدْ بَيْنَ مِنْهَجِيَّتَهُ إِنَّهُ تَعَامَلُ مَعَ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ عَلَى أَسَاسِ الْعَقْلِ الْحَرِّ وَلِذَلِكَ فِي آخِرِ الْقَصِيدَةِ وَصَلَ إِلَى هَذِهِ النَتِيجَةِ، فِي آخِرِ الْقَصِيدَةِ:

وَأَمَنْتُ إِيمَانًا لَا يَرَى      سِوَى الْعَقْلِ فِي الشَّكِّ مِنْ مَرَجِعٍ

هنا يَتَحَرَّكُ بِهَذَا الْإِتِّجَاهِ:

تَمَثَّلْتُ يَوْمَكَ فِي خَاطِرِي      وَرَدَّدْتُ صَوْتَكَ فِي مَسْمَعِي

وَمَحَصْتُ أَمْرَكَ لَمْ ارْتَهَبْ- وَالرَّهْبَةُ: الْخَوْفُ وَالْوَجَلُ وَالْخَشْيَةُ، تِلْكَ هِيَ الرَّهْبَةُ.

وَمَحَصْتُ أَمْرَكَ لَمْ ارْتَهَبْ      بِنَقْلِ الرِّوَاةِ وَلَمْ أَخْذَعْ

وَقُلْتُ لَعَلَّ دَوِيَّ السَّنِينِ      بِأَصْدَاءِ حَادِثِكَ الْمَفْجِعِ

حَادِثٌ مَفْجِعٌ وَمَرَّتِ الْقُرُونُ تَلُو الْقُرُونُ فَلَرَبَّمَا تَرَكْتَ السَّنُونَ تَرَكَتِ آثَارًا وَتَرَكَتِ مَضَاعِفَاتٍ مَا بَيْنَ نَاقِلٍ لَيْسَ دَقِيقًا فِي نَقْلِهِ وَمَا بَيْنَ مُغْرَضٍ يُرِيدُ التَّحْرِيفَ وَمَا بَيْنَ مُحَدِّثٍ قَدْ نَسِيَ الْحَقِيقَةَ ثُمَّ رَفَعَهَا، فَكُلُّ هَذِهِ الْإِحْتِمَالَاتِ قَائِمَةٌ.

وَقُلْتُ لَعَلَّ دَوِّي السَّنِينَ      بأصداء حادثك الممّفع

وما رتل المخلصون الدّعاة- الذين يدعون الناس إلى منهجك، الذين يذكرون الناس بفعيكتك.

وما رتل المخلصون- والمرتل هو القارئ، المرتل هو القارئ الذي يقرأ النصوص بوضوح، يخرج الحروف من مخارجها، وينثر الجمل نثراً بشكل واضح، هذا هو المرتل.

وما رتل المخلصون الدّعاة      من مرسلين...

المرسل هو الذي يتحدث كما أتحدث أنا الآن، فهذا حديث مرسل وحديث مرسل، المرسلين هم الذين يتحدثون من دون تقاطيع في طول الجمل ومن دون سجع، في بعض الأحيان يتحدث المتحدث فيجعل جملة متساوية وكأنها مقاطيع ومسجوعة لها قافية واحدة وكل ذلك في التعبيرات النثرية.

وما رتل المخلصون الدّعاة- على مختلف أنحاء حديثهم إن كانوا مرسلين في حديثهم أو كانوا ساجعين في كلامهم.

وما رتل المخلصون الدّعاة      من مرسلين ومن سجع  
ومن ناثرات عليك المساء      والصبح  
البيت إذا نريد أن نرتبه:

ومن ناثرات عليك بالشعر والأدمع      المساء والصبح  
يعني مساءً وصباحاً، "من ناثرات" الحديث عن باقيات ينثرن شعورهن وينثرن دموعهن، والنثر هو إعطاء الأشياء دفعات ولكن بكثرة، لذلك ما يرمى مثلاً من الحلوى أو من القطع النقدية أو من بعض الهدايا في المناسبات بشكل كثير ومُنْتَشَر يُقال له نثار، النثار هو هذا الذي ينثر بشكل وافر وكثير فيتساقط هنا البعض منه ويتساقط هناك البعض الآخر منه.

ومن ناثرات عليك المساء      والصبح بالشعر والأدمع  
كل ما مر عبر التاريخ وربّما قد يشير الشاعر إلى ما ورد في الأحاديث وفي الروايات عندنا فالشاعر نجفي والجواهري حوزوي وثقافته النجف مغلّة فيه، فلربّما يتحدث عن المعاني التي تذكر دائماً على المنابر الحسينية فيما جاء في الأحاديث والروايات من أن الهاشميات ما اكتحلت واحدة منهن، ما اكتحلت هاشمية ولا اختضبت، أحزان مستمرة لسنين، واستمر هذا الأمر بعد ذلك في نساء الشيعة عبر التاريخ.

ومن ناثرات عليك المساء      والصبح بالشعر والأدمع  
وهذا هو حزن المرأة العربية بهذه الطريقة بنثر شعرها وببكاؤها ودموعها، مثلما بينت في يوم أمس من أن الشاعر يتحدث بلسان الثقافة العربية، باللسان الذي يتحدث به شعراء العرب.

لَعْلَ السَّيَاسَةِ فِيمَا جَنَتْ      عَلَى لَاصِقِ بِكَ أَوْ مُدَّعٍ  
وعبر التاريخ هناك مَنْ التصق بالحَسَنِ حَقِيقَةً وهناك مَنْ كان مُدَّعِيًا أَخَذَ الحَسِينَ شعارًا.

لَعْلَ السَّيَاسَةِ فِيمَا جَنَتْ      عَلَى لَاصِقِ بِكَ أَوْ مُدَّعٍ  
وتشريدها كُلِّ مَنْ يَدْلِي      بحبلٍ لأهليكَ أَوْ مَقْطَعٍ

هنا استعار الشاعر هذا المعنى كيف أخذ الصورة من البئر، والبئر فيه دلوّ وهذا الدلوّ مربوط بحبل فحينما نريدُ التواصل مع البئر لابدّ أن نُرخي الحبل فهنا أنا أدليّ، أدليّ؛ إنني أرخي الحبل كي أنزل الدلوّ لأملأه ماءً من البئر ثم بعد ذلك أجره وأسحبه، أخذ هذه الصورة لإعطاء معنى التواصل مثلما نتواصل مع البئر كي نحصل ماءً كي ننتفع منه.

وتشريدها كُلِّ مَنْ يَدْلِي      بحبلٍ لأهليكَ أَوْ مَقْطَعٍ  
المراد من المقطع كما يبدو لي من تسلسل القصيدة وتسلسل أفكارها المراد من المقطع مقطع من الكلام، مقطع من الشعر، ومقطع الكلام جزءه ومقطع الشعر جزءه، فالشاعر هنا يريد أن يقول من أن السياسة عبر التاريخ شردت الذين يتواصلون معكم بشكل كامل وجاء بمثال الحبل باعتبار هنا تواصل كامل أو حتى الذين مجرد أن يقولوا كلمة فإن السياسة عبر التاريخ شردتهم.

لَعْلَ السَّيَاسَةِ فِيمَا جَنَتْ      عَلَى لَاصِقِ بِكَ أَوْ مُدَّعٍ  
وتشريدها كُلِّ مَنْ يَدْلِي      بحبلٍ لأهليكَ أَوْ مَقْطَعٍ  
لَعْلَ لَذَاكَ- لَكُلِّ هَذِهِ الْأَسْبَابِ الَّتِي مَرَّتْ.  
وَكُونُ الشَّجِيِّ- الشَّجِي هُوَ صَاحِبُ الْحُزَنِ.

وَكُونُ الشَّجِيِّ وَلَوْعًا- مُحِبًّا، وَلَوْعًا مُحِبًّا بِشِدَّةٍ، فَصَاحِبُ الْحُزَنِ يَكُونُ عَاشِقًا وَمُحِبًّا وَرَاغِبًا وَمُلْتَصِقًا بِكُلِّ مَا يُؤَكِّدُ أَحْزَانَهُ وَأَشْجَانَهُ فَلَرَبَّمَا جَاءَ هَذَا التَّرَاكُمُ مِنَ السَّيَاسَةِ أَوْ جَاءَ التَّرَاكُمُ مِنْ نَفْسِ الْمُحْزُونِينَ عَلَيْكَ فَإِنَّ حُزَنَهُمْ يَتَرَاكُمُ شَيْئًا فَشَيْئًا وَبِالتَّالِي يَصُوغُونَ صَوْرًا وَأَحْدَاثًا وَتَفَاصِيلَ لِأَنَّهُمْ يُغْرَقُونَ بَعِيدًا فِي التَّعْبِيرِ عَنْ حُزَنِهِمْ وَعَنْ أَشْجَانِهِمْ.  
لَعْلَ لَذَاكَ وَكَوْنُ الشَّجِيِّ- الشَّجِي هُوَ الْحُزِينُ- وَكَوْنُ الشَّجِيِّ وَلَوْعًا بِكُلِّ شَجٍّ- بِكُلِّ حُزْنٍ- وَلَوْعًا بِكُلِّ شَجٍّ مُوَلَّعٍ،  
لهذه لأسباب التي مرت.

يَدَا فِي اصْطِبَاغِ حَدِيثِ الْحُسَيْنِ      بَلُونٍ أُرِيدَ لَهُ مُمْتَعٌ  
لَعْلَ هَذِهِ الْأَسْبَابُ هِيَ الَّتِي أَدَّتْ إِلَى أَنْ يَكُونَ حَدِيثُ الْحُسَيْنِ مُؤَثِّرًا، حِينَ يَقُولُ: بَلُونٍ أُرِيدَ لَهُ مُمْتَعٌ، هُوَ لَا يَتَحَدَّثُ عَنِ الْمَتْعَةِ الْمَعْنَى الْمُتَعَارَفِ عَنْ ارْتِيَاكِ النَّفْسِ بِالأَشْيَاءِ الَّتِي تَتَمَتَّعُ بِهَا، وَإِنَّمَا هُنَا يَتَحَدَّثُ عَنِ مَتْعَةٍ

العقل، القصيدة بدأت تنحى بهذا الاتجاه، إنه يتحدث عن متعة العقل، من أن الحكمة وأن العقل حين يقف في مشهد الحسني فإنه يجد صورة متكاملة لا نقص فيها، والعقل والحكمة إذا ما واجهت صورة متكاملة فإن العقل يشعر بمتعة لا مثيل لها، والمتعة هنا لا علاقة لها بالفرح أو السرور، لا علاقة لها بالراحة وإنما المتعة هنا عند العقل هو حديث الإعجاب، هو حديث الانبهار، هذا المراد من المتعة التي يتحدث عنها الشاعر هنا.

لعلّ لذاك وكون الشّجي      ولوعاً بكُلّ شَجٍ مَوْع  
يداً في اصطبغ حديث الحُسين      بلونٍ أريد له مُمتع

وكلمة "الاصطبغ" وإن كان الوزن يقتضيها ولكن كلمة الاصطبغ أجمل في التعبير من كلمة الصبغ ومن كلمة الصباغ، فالاصطبغ صباغة مع تزيين، الصباغة صباغة، صبغ يوضع على شيء يصبغ، أما الاصطبغ فهي صباغة مع زينة، مع تزيين مع تجميل.

لعلّ لذاك وكون الشّجي      ولوعاً بكُلّ شَجٍ مَوْع  
لكلّ هذه الأسباب التي تقدّمت: دويّ السنين، ما رتل المخلصون الدّعاة، ومن ناثرات عليك المساء والصّبح، لعلّ السياسة فيما جنت، لعلّ لذاك وكون الشّجي، كلّ هذه الأسباب ربّما هي التي رسمت لنا لوحة الحُسين وإنّما ما كانت كذلك، هناك أياد دخلت فرسمت هذه اللوحة وأضافت عليها ما أضافت.

يداً في اصطبغ حديث الحُسين      بلونٍ أريد له مُمتع  
وكانت ولما تزل برزة- برزة؛ أي ظاهرة واضحة، يقال امرأة برزة في لغة العرب، امرأة برزة هي مشخّصة بين النساء، قادرة على بيان ما تريد، ويقال هذه صورة برزة؛ صورة واضحة جلية.

وكانت ولما تزل برزة- واضحة ومنه المبارزة نفس المعنى برز إلى ساحة المعركة ظهر وخرج.

وكانت ولما تزل برزة -واضحة ظاهرة بينة- يد الواثق الملبجأ الأملعي- الواثق هو المعتمد على نفسه وأما الأملعي فهو شديد الذكاء، يقال رجل أملعي هو شديد الذكاء، الملبجأ هو المضطر.

وكانت ولما تزل برزة      يد الواثق الملبجأ الأملعي

ماذا يريد الشاعر أن يقول؟ يريد أن يقول: هناك في الناس من أهل الخير أو من أهل الشر على حد سواء، ولكنه هنا يتحدث عن أناس ربّما حرفوا واقعة الحُسين، فلربّما هناك من الأذكياء ومن القادرين على أن يفعلوا ما يريدون اضطرتهم حاجتهم واضطرتهم أهدافهم إلى أن يرسموا هذه اللوحة لغاية في نفوسهم.

صناعاً متى ما تُرد خُطّة- صنّاعاً، الصّناع هو الماهر، فهذا الأملعي الواثق من نفسه صاحب القدرة الظاهرة هو ماهر إذا ما اضطرتّه الظروف لأن يصنع أو أن يرسم خُطّة كي يصل إلى مراده فلربّما كان هناك صنّف من الناس

بهذه الأوصاف هم الذين رسموا صورة ما جرى في كربلاء فوصلت إلينا بهذا الشكل، لا زال في أبياته يُعطي الاحتمالات.

لعلّ لذاك وكون الشّجي      ولوعاً بكُلّ شَجٍ مَوْع  
يداً في اصطباغ حديث الحُسين      بلونٍ أريدَ له مُمتع  
وكانت ولما تزل برزة- لا زال الحديث يستمرّ على نفس هذه الجديلة، على نفس هذه الطّريقة.

وكانت ولما تزل برزة      يدُ الواثق المَلجأ الألمعي  
صناعاً- على مهارة عالية.

صناعاً متى ما تُرد خُطّة- الخُطّة: كُلّ أمرٍ دَبَرَ له التدبير، ربّما الآن كلمة "الخُطّة" في ثقافتنا المعاصرة يرادُ منها البرنامج المرسوم، هذا أيضاً في لغة العرب ولكن الاستعمال الشائع في الأدب العربي القديم حين يتحدثون عن خُطّة يتحدثون عن أمرٍ مَدبّر ليس عن البرنامج لهذا الأمر، الأمر المدبّر يُقال عنه خُطّة وما يستعمل الآن هو صحيح ولكن هذا الاستعمال ما كان شائعاً لأننا الآن نتحدّث عن خُطّة لعمل الخُطّة برنامج والبرنامج معزولٌ عن العمل، بعد ذلك يُمْكن أن نطبّق الخُطّة لكن هذا الاستعمال لم يكن شائعاً فحينما يقولون خُطّة فإنهم يقصدون الأمر المدبّر، الأمر بخطّته.

صَناعاً متى ما تُرد خُطّة      وكيف ومهما تُرد تصنع  
لماذا؟ لأنّه ألمعي، لأنّه واثقٌ من نفسه، وإمّا واثقٌ من نفسه لأنّ الآليات متوفّرة بيده، يستطيع أن يعمل، هو واثقٌ من نفسه وألمعي وألجأته الطّروف، ظروفٌ حاجته الشّخصية، ظروفٌ أهدافه لأيّ أمرٍ كان، كُلّ هذه احتمالات، لماذا ذهب إلى هذا الاحتمال؟ لأنّ اللوحة الحسّينية في غاية الاتقان، فلا بدّ أنّ الذي رسمها إذا كان هذا الرسم كاذباً ليس صحيحاً فلا بدّ أن يكون ألمعيّاً، لا بدّ أن يكون واثقاً، لا بدّ أن تتوفّر لديه المهارات، ولذلك جاء بكُلّ هذه الأوصاف: وكانت ولما تزل برزة، فهذه صفّة كمالٍ في الشّخص، صفّة كمالٍ لا من جهة الكمال في الخير وإمّا من جهة الكمال للوصول إلى المراد.

وكانت ولما تزل برزة      يدُ الواثق المَلجأ الألمعي  
برزة والواثق والألمعي وصناعاً شديداً المهارة كُلّ هذه العوامل ستؤدّي إلى أنّ هذا الذي رسم اللوحة الحسّينية جمع كُلّ إبداعه فجاءت اللوحة هكذا، كُلّ هذا مع احتمال التشكيك الذي بدأ به الشّاعر في هذا المقطع من القصيدة ولكن بعد كُلّ هذا التشكيك:

ولما أزحّت طلاء القُرون      وسِتر الخِداغ عن المَخدَع

"القرون" قد يراد منها الأزمنة وقد يراد منها الأجيال، وإذا أريد منها الأجيال يكون الكلام أبلغ، فالقرون القرن زمان والقرن جيل، إذا كان يريد منها الأجيال فذلك أبلغ في المعنى.

ولما أزحت طلاء القرون- الطلاء ما يطلى به، كل شيء يغطى به شيء آخر ويلتصق به يقال له طلاء، الأصباغ أو غير الأصباغ، أي مادة توضع على شيء وتغطيه يقال لهذه المادة طلاء.

ولما أزحت طلاء القرون- فهذه الأجيال بثقافتها وهذه الأجيال التي مرت بمنقولاتها عبر التاريخ وعبر الأشعار ما بين الأصدقاء والأعداء عبر الكتب وعبر المنقول على الألسنة وعبر الوجدان الذي تواصل مع هذه الفجيرة التي حدثت في أرض الطفوف كل هذا سيدخل فيه ما يدخل، تلك طبيعة الأشياء، ولما أزحت طلاء القرون، لأنه هو قد بين:

وَمَحَصْتُ أَمْرَكَ لَمْ ارْتَهَبْ      بنقل الرواة ولم أخدع  
فأخذ يزيج كل شيء أمام عقله:

وَلَمَّا أَزَحْتُ طَلَاءَ الْقُرُونِ      وستر الخداع عن المخدع  
"المخدع" في لغة العرب هو المكان المخفي الذي توضع فيه الأشياء الثمينة، الأشياء السرية، مكان صغير مخفي في البيت توضع فيه الأشياء السرية أو الأشياء الثمينة.

والمخدع أيضاً بيت صغير تجلس فيه المرأة تخلو بحالها، والمخدع مكان يكون خاصاً للرجال أو للنساء ولكن هذا الاستعمال أشهر في لغة العرب يكون مكاناً خاصاً بالنساء، دخلت إلى مخدعها؛ يعني إلى مكانها الخاص، أو دخل الملك إلى مخدع؛ إلى مكانه السري الذي ينام فيه الذي لا يعرفه إلا خواصه من عائلته أو من حراسه.

وستر الخداع- الخداع هو هذا الحجاب أو الحاجز الذي يوضع على المخدع، لنفرض ستارة من الستائر موضوعة على باب المخدع هذه الستارة يقال لها خداع، الخداع هي الستارة أو الحجاب أو الحاجز الذي يستر باب المخدع، هو مخدع مكان سري فلا بد أن يغطى بابه بغطاء بأي لون من ألوان الأغطية.

وَلَمَّا أَزَحْتُ طَلَاءَ الْقُرُونِ      وستر الخداع عن المخدع  
لأي شيء؟ أريد الحقيقة في ذاتها- بعيداً عن الإضافات.

أريد الحقيقة في ذاتها      بغير الطبيعة لم تطبع

من دون تجميل، من دون تزيين، من دون تزويق، خصوصاً وأن الذي يتحدث شاعر والشاعر مهووس بالتزيين والتزويق والإضافات وتغيير المعاني، أليس الشعر يحولون فيه المحسوس إلى معقول، أشياء محسوسة ولكنها تُصور بمعقولات ويحول في الشعر المعقول إلى محسوس، المعقولات تتحول إلى محسوسات، وكما يقول أهل

الأدب فإنه يجوزُ في الشعرِ ما لا يجوزُ في النثر، فهو بطبيعته شاعر ويتصورُ الأمور هكذا وقد يتصورُ الناس هكذا أيضاً أنهم يضيفون إضافات يزوقون المعاني لذلك يريدُ الحقيقة في ذاتها.

أريدُ الحقيقة في ذاتها      بغير الطبيعة لم تُطبع  
بعد كُلِّ هذه الاحتمالات، بعد كُلِّ هذه الشكوك، بعد كُلِّ عملية الفلترة هذه إلى أين وصل الشاعر؟  
وجدتُك في صورةٍ لم أَرع- بعد أن أزحتُ كُلِّ هذا الذي وقع في طريقي.

وجدتُك في صورةٍ لم أَرع      بأعظم منها ولا أروع  
والشاعر هنا جمع بين معنيين جميلين جداً: وجدتُك في صورةٍ لم أَرع- فقد راعتني هذه الصورة، وراعتني الصورة ماذا تعني؟ أنها أرعبتني وأرهبتني وهزنتني، وضعتني في حالٍ لا أستطيعُ أن أشخصه، حين يقول القائل في كلام العرب "راعني الأمر" هو لا يدري هل خاف منه؟ هل انبهر به؟ هو مضطرب ما بين الخوف والانبهار وما بين الاستعظام لهذا الأمر.

وجدتُك في صورةٍ لم أَرع      بأعظم منها ولا أروع  
ولا أجمل منها، فهل الصورةُ الجميلة تُصيب الإنسان بالخوف؟! معانٍ متناقضة جميلة جداً وهذه المعاني لا تجتمعُ في معناها الحقيقي إلا فيهم صلواتُ الله عليهم مثلما يخاطب صفي الدين الحلي أمير المؤمنين:  
جُمِعت في صفاتك الأضدادُ      فلهذا عزت لك الأندادُ  
هذه المعاني لن تجتمع إلا في الذوات المتكاملة، إلا في الذوات التي هي في الذروة العليا.

وماذا أروعُ من أن يكون      لحمك وقفاً على المبضع  
"المبضع" هو الآلة الحديدية الحادة، المبضع هو المشرط والمشرط الآلة الحديدية الحادة، قطعاً القافية تحكم على الشاعر فهو لا يتحدث هنا عن المبضع بالمعنى اللغوي الحاد للكلمة وهو المشرط وإنما يتحدث بجنس المبضع، بكُلِّ الآلات الجارحة، وسيد الشهداء قُتل بكُلِّ ما نستطيع أن نتصور من الآلات التي تُسبب الألم، الروايات عنهم صلواتُ الله وسلامه عليهم أجمعين **أنَّ الحَسين قُتل بالسيوف والحرايب**، الحرايب غير السيوف، **والرماح والسهام والنبال**، النبال غير السهام، والإمام الباقر يقول: **ولقد ضربوه بالعصي والخشب**، العصي قد تكون من حديد، والخشب الإمام يشير إلى أعمدة الخيام، جروا أعمدة خيامه، **لقد ضربوه بالعصي وبالخشب وبالسيوف وبالرماح وبالحرايب وبالحجارة**، فما تركوا شيئاً يمكن أن يسبب ألماً إلا واستعملوه في ذلك اليوم.

وماذا أروعُ من أن يكون      لحمك وقفاً على المبضع  
وأن تتقي دون ما ترتئي      ضميرك بالأسل الشـرـع

وَأَنْ تَتَّقِي دُونَ مَا تَرْتِي ضَمِيرَكَ بِالْأَسْلِ الشَّرْعِ

الأسل؛ الرماح، والأسل الشرع؛ الرماح الشارعة، ويقال للرمح رمح شارع حينما يكون رأس الرمح حاداً وعريضاً، ونحن نقرأ في كتب التاريخ وفي كتب المقاتل أشدّ ضربة آلمت الحسين الطعنة التي وجهها سنان لسيد الشهداء في بواني صدره، في بواني صدره يعني في أضلاعه فكسر أضلاعه بعد أن سقط سيد الشهداء على الأرض، أقوى ضربة وجهت له الطعنة التي طعنه بها سنان بن أنس فطعنه بالرمح في بواني صدره، وبواني الصدر هي الأضلاع فكسر أضلاعه الشريفة.

وَأَنْ تَتَّقِي دُونَ مَا تَرْتِي- تجعل من نفسك واقيةً وحامية لأي شيء؟ لما ترتتي- لعقيدتك، لرأيك، ما ترتتي؛ ما تراه من رأي.

وماذا أروع من أن يكون لحملك وقفاً على المبضع

لماذا؟ فإنك تجعل من نفسك درعاً وواقيةً لعقيدتك، لما ترتتيه.

وَأَنْ تَتَّقِي دُونَ مَا تَرْتِي ضَمِيرَكَ بِالْأَسْلِ الشَّرْعِ

وَأَنْ تُطْعِمَ الْمَوْتَ خَيْرَ الْبَنِينَ مِنْ الْأَكْهَلِينَ إِلَى الرُّضْعِ

والبيت واضح لا يحتاج إلى شرح.

وَأَنْ تُطْعِمَ الْمَوْتَ خَيْرَ الْبَنِينَ مِنْ الْأَكْهَلِينَ إِلَى الرُّضْعِ

وهذا المعنى مأخوذ من كلمات سيد الشهداء: **لا أعلم أصحاباً أوفى من أصحابي ولا أهل بيت أبر وأوصل من أهل بيتي.**

وَأَنْ تُطْعِمَ الْمَوْتَ خَيْرَ الْبَنِينَ مِنْ الْأَكْهَلِينَ إِلَى الرُّضْعِ

وخير بني الأم من هاشم- إذا أردنا أن نتفحص الذين قُتلوا من الهاشمين مع سيد الشهداء من هم؟ الذين قُتلوا أولاد علي وأولاد جعفر وأولاد عقال، وهؤلاء أمهم فاطمة وفاطمة بنت أسد وأسد ابن هاشم، وهو يشير إلى هذه الجهة: كل الهاشمين الذين قُتلوا من جهة الأم ينتسبون إلى فاطمة بنت أسد وفاطمة بنت أسد هي بنت هاشم فأسد هو ابن هاشم.

وخير بني الأم من هاشم- إذا تتذكرون في الليلة الماضية مر علينا هذا التعبير: (ويا غصن هاشم) وقلت القضية هنا ترتبط بضرورة شعرية وإلا السياق النحوي الصحيح كما جاء في هذا البيت:

وخير بني الأم من هاشم وخير بني الأب من تبع



هذا العجز من البيت بالنسبة لي لا أعرفُ له معنى إلا أن يُشير إلى والدته عبد المطلب صلواتُ الله عليه، فلا علاقة بين بني هاشم وبين تُبّع، تُبّع هم قبائل اليمن، تُبّع هم سادة حمير، سادة القبائل اليمنية، والتبابعة هم ملوك اليمن فما علاقته اليمنية بالهاشميين؟! اليمنيون قحطانيون والهاشميون عدنانيون، الجغرافية مختلفة، الأنساب القبائلية مختلفة، إلا هذه الحالة أو هذه الصورة فإن هاشم القمر جد الهاشميين تزوج من الخزرج وزوجته من الخزرج كانت أمّا لعبد المطلب وما ولدت إلا عبد المطلب لأن هاشم سافر إلى الشام وتوفي في فلسطين في غزة، فولدت عبد المطلب، من هذه الجهة هناك خوولة للهاشميين في تُبّع وتبابعة اليمن ولا أعرفُ معنى آخر غير هذا، وإلا لا توجد رابطة بين بني هاشم وبين التبابعة في اليمن إلا هذه الجهة التي أشرت إليها.

وخير بني الأمّ من هاشم وخير بني الأب من تُبّع

كما يقول العرب إمّا الرجل بأخواله فهنا تحدثت عن أمهم عن فاطمة بنت أسد وتحدثت عن أبيهم عن عبد المطلب وإمّا الرجل بأخواله، وقطعاً القافية تحكم الشاعر في كثير من الأحيان وإن كان الجواهري ليس كهؤلاء الشعراء الذين ينظمون شعرهم يختارون كلمات القوافي وبعد ذلك ينظمون الأبيات، الجواهري لم يكن هكذا، الجواهري كان يرتجل الشعر ارتجالاً.

وأن تتقي دون ما ترتئي  
وأن تطعم الموت خير البنين  
وخير بني الأمّ من هاشم  
وخير أصحابٍ بخير الصدور

ضميرك بالأسـل الشـرـع  
من الأكهلين إلى الرضع  
وخير بني الأب من تُبّع  
كانوا وقاءك والأذرع

وأعتقد الأبيات واضحة.

إلى أن يقول:

وقدّستُ ذكراك لم أنتحل ثياب الثقة ولم أدع

إنني قدّستُ ذكراك بعد كلّ تلك الشكوك وبعد أن حكمتُ عقلي وأزحتُ طلاء القرون وستر الخداع عن المخدع وتجلّت لي صورتك يا حسين جليّة واضحة من دون إضافات، من دون حديث الرواة، فلقد كشفت لي عن نفسك بنفسك من دون ناقل، دلّني إلى ذلك عقلي.

وقدّستُ ذكراك لم أنتحل ثياب الثقة ولم أدع

لم أنتحل ثياب الثقة؛ لم ألبس ثياب الثقة زيفاً، وهنا لا يتحدث عن الأثواب بما هي أثواب وإمّا يريد أن يقول من أنني لم أظاهر بتقوى أو بدين أو بأي التزام من الالتزامات فإنني حرّ حكمتُ عقلي في أمرك بعيداً عن الطقوس وعن كلّ الإضافات.

وقدستُ ذكراك لم أنتحل ثياب التُّقاة ولم أدع

لأنّ هذه الطقوس وهذه الإضافات تُعيقني في الوصول إلى ما أريد.

ثمّ يرسم هذه الصّورة الجميلة التي تنتهي إليها القصيدة:

تقحمتُ صدري وريبُ الشُّكوك يضجُّ بجدرانهِ الأربع

التقحّم هو الدّخول بقوة لا تُقاوم، هذا هو التقحّم، الأبواب مغلّقة ويأتي من يملك القوّة تتهاوى الأبواب بين يديه ولا يمكن أن يقاوم، هذا هو الذي يتقحّم، (تقحمتُ صدري) هنا يتحدث عن هذا الطوفان الحسّيني، إذا كان طوفانُ نوح تفجّر من تنور ولده سام فطوفانُ الحسّين تفجّر من نحر الحسّين، تفجّر طوفان الحسّين من نحر الحسّين، تقحمتُ صدري.

قضيةٌ لأبد من الإشارة إليها: أيّ منصف بعيداً عن التفاصيل الدّينية وبعيداً عن الطقوس، أيّ منصف يملك ثقافة ويعرف تفاصيل التّاريخ ويقرأ الحسّين في كلّ الكتب بعيداً عن الانتماء إلى أيّ جهة من الجهات، بعيداً حتّى عن كربلاء، يقرأ الحسّين بما هو الحسّين، أيّ منصف سيجد نفسه أمام طود شامخ من الحكمة والفضل، من المستبعد جدّاً أن طوداً بهذه القيمة وبهذه العظمة المهولة أن يقطع نفسه إرباً إرباً لأمر ليس حقيقياً، أبداً، لا يمكن أن يقبل هذا، عقل بعقل الحسّين لا يمكن أن يتحرك بهذا الاتجاه فيجري على نفسه ما جرى ويجري على أعزّ الناس عليه وكان بإمكانه أن يدفع ذلك عن نفسه ما لم يكن لحقيقة ثابتة واضحة وهذا هو أدلّ دليل على الحقيقة إذا أردنا أن نبث عنها، أدلّ دليل على منهج الكتاب والعتره هو هذا، بعيداً عن كلّ المصطلحات وبعيداً عن كلّ أساليب الاستدلال.

تقحمتُ صدري وريبُ الشُّكوك يضجُّ بجدرانهِ الأربع

ريبُ الشُّكوك في كلّ شيء، وهذه الحالة موجودة في شعر الجواهري، حالة الشكّ موجودة على طول قصائده، لربّما أخذها من المعري، فالجواهري تأثر كثيراً بالمعري، وشعر أبي العلاء المعري تغلب عليه هذه الصبغة، ولربّما جاءت من ثورته العارمة على وضعه الدّيني السابق.

تقحمتُ صدري وريبُ الشُّكوك يضجُّ بجدرانهِ الأربع

وران سحابٌ صفيق الحجاب- صفيق يعني في غاية السّمك ولذلك يوصف الرجلُ الثّقيلُ الظّل بأنّه صفيق، يقال هذا صفيق لأنّه ثقیل الظّل، الصّفيق هو السّميك.

وران سحابٌ- ران؛ تجمّع، والرّين هو الصّدأ والرّين هو الهمّ والرّين هو الوسخ، وران بل ران على قلوبهم في التعبير القرآني رانَ على قلوبهم، وفي أحاديثهم الطّاهرة هم يقولون: حديثنا يزيل الرّين عن القلوب، يجلو الرّين عن القلوب.

وران سحابٌ صفيقُ الحجابِ      عَلَيَّ مِنَ الْقَلْقِ الْمَمْفَزِعِ  
هو يصفُ حالتهُ النَّفْسِيَّةَ ما بين شكوكٍ وما بين قلقٍ وما بين تردُّدٍ وحيَرةٍ.

وران سحابٌ صفيقُ الحجابِ      عَلَيَّ مِنَ الْقَلْقِ الْمَمْفَزِعِ  
وهبَّت رِياحٌ مِنَ الطَّيِّبَاتِ      وَالطَّيِّبِينَ....  
مِنْ أَنَاسٍ مِنَ الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ هُنَاكَ مَنْ كَلَّمَنِي، هُنَاكَ مَنْ خَاطَبَنِي، هُنَاكَ مَنْ وَاصَلَنِي بِحَدِيثٍ يُنَاقِشُ شَكْوَيَّ وَلَكِنَّ ذَلِكَ مَا نَفَعَنِي.

وهبَّت رِياحٌ مِنَ الطَّيِّبَاتِ      وَالطَّيِّبِينَ وَلَمْ يُقْشَعِ  
لم ينقشع هذا الرِّين، لم ينقشع هذا الشَّك.

إذا ما ترحّز عن موضع      تَأْبَى وَعَادَ إِلَى مَوْضِعٍ  
فإذا ما شككتُ في شيءٍ وناقشتُ نفسي أو ناقشني الآخرون ربّما تحركَ من موضعٍ ولكنه سيُنقلُ إلى موضعٍ آخر.

إذا ما ترحّز عن موضعٍ تأبى -تأبى يعني تمنّع- تأبى وعاد إلى موضع.

وجاز بي الشَّكُّ فيما مع الجدودِ      إِلَى الشَّكِّ فِيمَا مَعِي  
صار الشَّكُّ مَتَّسَعاً ما بين الماضي والحاضر ولكن متى زال كُلُّ ذَلِكَ؟

إِلَى أَنْ أَقَمْتُ عَلَيْهِ الدَّلِيلَ      مِنْ مَبْدِئِ بَدَمٍ مُشَبَّعٍ  
الاستدلالُ الَّذِي أَشْرْتُ إِلَيْهِ قَبْلَ قَلِيلٍ مِنْ أَنْ كَانَتْ كَالْحَسَنِ بِكُلِّ كَيَنُونَتِهِ الْكَامِلَةِ أَنْ يَجْرِي عَلَى نَفْسِهِ مَا جَرَى لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ إِلَّا فِي سَبِيلِ حَقِيقَةٍ وَاضِحَةٍ نَاصِعَةٍ صَرِيحَةٍ لَا مَجَالَ لِلشَّكِّ فِيهَا.

إِلَى أَنْ أَقَمْتُ عَلَيْهِ الدَّلِيلَ      مِنْ مَبْدِئِ بَدَمٍ مُشَبَّعٍ  
بَدَمِ الْحَسَنِ، بَدَمِ مُشَبَّعٍ؛ مُشَبَّعٌ بَدَمِ الْحَسَنِ.

فأسلم طوعاً إليك القياد- هو لم يشر إلى الجهة التي أسلمت إنَّه يتحدثُ عن العقل من البداية لذلك ما أشار إليه.

فأسلم طوعاً إليك القياد      وَأَعْطَاكَ إِذْعَانَةَ الْمَهْطَعِ

مَنْ هو المَهْطَعُ؟ المَهْطَعُ هو الدَّلِيلُ الَّذِي قد تفرَّغَ مَحْتَوَاهُ وَعُيُونُهُ مَشْدُودَةٌ بَعْلُو إلى جهةٍ هو مَبْهُورٌ فيها، هذا هو المَهْطَعُ، المَهْطَعُ الَّذِي لا تَتَحَرَّكُ عَيْنَاهُ عن جهةٍ قد انبهر بها ويشعر بالهَوَانِ والمَذَلَّةَ بين يديها ويشعر بالصَّغار.

فَأَسْلَمَ طَوْعاً إِلَيْكَ الْقِيَادَ- أَسْلَمَ طَوْعاً إِلَيْكَ الْقِيَادَ؛ وَضَعَ الْحُكْمَ بِيَدِكَ فَلَا مَجَالَ هُنَا لَا لِلنَّقَاشِ وَلَا لِلْبَحْثِ وَلَا لِلرَّدِّ.

فَأَسْلَمَ طَوْعاً إِلَيْكَ الْقِيَادَ وَأَعْطَاكَ إِذْعَانَةَ الْمَهْطَعِ  
لَمَّا صَارَ عَقْلِي بِهَذِهِ الصُّورَةِ:

فَنَوَّرْتُ مَا أَظْلَمَ مِنْ فِكْرَتِي- حِينَ أَسْلَمْتُ إِلَيْكَ حَلَّ النُّورِ فِي عَقْلِي، حِينَ أَسْلَمْتُ إِلَيْكَ النَّتِيجَةَ هَذِهِ، هَذِهِ الْفَاءُ يُقَالُ لَهَا فَاءُ التَّفْرِيعِ، فَاءُ السَّبَبِيَّةِ، يَعْنِي هَذَا مُتَفَرِّعٌ عَلَى الَّذِي قَبْلَهُ.

فَأَسْلَمَ طَوْعاً إِلَيْكَ الْقِيَادَ وَأَعْطَاكَ إِذْعَانَةَ الْمَهْطَعِ  
فَنَوَّرْتُ مَا أَظْلَمَ مِنْ فِكْرَتِي وَقَوَّمتُ مَا اعْوَجَّ مِنْ أَظْلَعِي  
الأضلع قد تكون جمعاً لضلع ولكنه لا يتحدث عن الأضلاع هنا، هناك أضلع وهناك أظلع بأخت الطاء، الأظلع مرت الإشارة إليه:

يَسِيرُ الْوَرَى بِرُكَابِ الزَّمَانِ مِنْ مُسْتَقِيمٍ وَمِنْ أَظْلَعِي  
وهو الأعرج، (وقومت ما اعوج من أظلع) هو انحرافي واعوجاجي، ليس الحديث عن الأضلاع هنا لأن الأضلع هو المعوج المنحرف، والأظلع بأخت الطاء ذلك هو الأعرج.

فَنَوَّرْتُ مَا أَظْلَمَ مِنْ فِكْرَتِي وَقَوَّمتُ مَا اعْوَجَّ مِنْ أَظْلَعِي  
وَأَمَنْتُ إِيْمَاناً مَنْ لَا يَرَى سَوَى الْعَقْلِ فِي الشَّكِّ مِنْ مَرَجِعِ  
وهذا هو المنطق السليم، من أكبر مشاكلنا في الساحة الشيعية الثقافية من أكبر مشاكلنا حينما يبتعد الدين عن العلم والعقل، فهنا تأتي الخرافات، وهنا تُصدَّقُ الأكاذيب وتُصدَّقُ الادعاءات، حين يبتعد الدين عن العلم والعقل، وأتحدث عن العلم عن العلم الديني، والعلم الديني هو علم الكتاب والعترة وإلا لا شأن للدين بعلم الكيمياء والطب، فإذا كان له من شأن فتلك هي شؤون الحياة وحاجاتها، الدين إذا انفك عن العلم والعقل صار هُراء، حينئذ صار خرابيط، هذا هو الواقع وهذه هي المشكلة التي تُعاني منها ساحة الثقافة الشيعية.

وَأَمَنْتُ إِيْمَاناً مَنْ لَا يَرَى سَوَى الْعَقْلِ فِي الشَّكِّ مِنْ مَرَجِعِ

بأنَّ الإِبَاءَ (إِباؤُك يا حسين) ووحى السَّماءِ وفيض النُّبُوَّةِ مِنْ مَنْبَعٍ  
لا يمكن أن تنفكَّ هذه المعاني فلا يأتي من السَّماءِ إلَّا الحكمة ولا يصعدُ منكم يا آلَ مُحَمَّدٍ إلَّا الحكمة.

بأنَّ الإِبَاءَ ووحى السَّماءِ وفيض النُّبُوَّةِ مِنْ مَنْبَعٍ  
من أصلٍ واحد.

تجمّع في جوهرٍ خالصٍ تنزّه عن عرض المطمع  
فداء.. فداءٍ لِمُثْوَاكَ مِنْ مَضْجَعٍ..

هذه القصيدة بحسب ما أعتقد وليس بالضرورة أن يكون ما أعتقدُه صحيحاً، بحسب ما أعتقدُ هذه القصيدة شكّلت نقطة فاصلةً في تاريخ الأدب الحسيني، الأدب الحسيني قبل هذه القصيدة كان شيئاً وبعد هذه القصيدة صار شيئاً آخر، في تاريخ الأمم بشكل عام، في تاريخ الفكر، في تاريخ الأدب في بعض الأحيان قد تأتي شخصية فتشكّل فارقاً فيما بين ما قبل وما بين ما بعد، وفي بعض الأحيان قد يصدر كتاب قد تكون هناك نظرية، في بعض الأحيان قد يكون هناك نص، نص واحد مثل هذا النص، نص يتيم فجعل حاجزاً في تاريخ الأدب الحسيني وشكّل صورةً من المذاق الأدبي العالي والراقي جداً.

ما بعد قصيدة الجواهري بحسب تتبعي ولا أدعي أنني تتبعتُ كلَّ شيء ولكنني أتتبعُ ما في الأجواء الأدبية بنحو عام، ما بعد قصيدة الجواهري كلُّ الشعراء الحسينيين، وحين أقول الشعراء الحسينيون الذين نظموا في الحسين بغض النظر عن تشيعهم، عن تدينهم، عن أي اتجاه من اتجاهاتهم، حديثي عن الشعراء الحسينيين الذين نظموا شعراً في الحسين، كلُّهم حاولوا الاقتراب من مستوى هذه القصيدة، ما استطاع أحد أن يصل إليها، أخذوا منها، تأثروا بها، إذا أردنا أن نراجع شعر السياف مثلاً أو شعر عبد الوهاب البياتي، أو شعر نزار القباني، هؤلاء يمثّلون اتجاهات مختلفة كتبوا في الحسين الذي يغلب على ظني هم أخذوا من هذه القصيدة ولكن ما وصلت قصائدهم إلى معشارِ عُشرها الأدبي، وحتى مصطفى جمال الدين في الاتجاه الآخر، الشيخ الوائلي وآخرون، حين كتبوا حاولوا أن يقتربوا من فناء هذه القصيدة، أخذوا منها، ولكن ما وصلوا إلى معشارِ عُشرها، بقيت هذه القصيدة يتيمةً.

ربّما ربّما قاربها الشاعر العراقي المندائي عبد الرزاق عبد الواحد في ميميته ربّما قاربها وما ذلك بشيء غريب فعبد الرزاق عبد الواحد صورةً منعكسة في شعره عن الجواهري، قد تأثّر كثيراً بشاعرية الجواهري.

أقتطف لكم أبياتاً من ميميته وستتلمسون بعد أن تحدّثنا عن معاني هذه القصيدة ستتلمسون جانباً من هذه المعاني في ميمية الشاعر العراقي المندائي عبد الرزاق عبد الواحد:

قَدِمْتُ وَعَفْوَكْ عَنْ مَقْدَمِي حَسِيراً أَسِيراً كَسِيراً ظَمِي

قَدِمْتُ لِأَحْرَمٍ مِنْ رَحَبَتِكَ  
 قَمَازٌ كُنْتُ طِفْلاً رَأَيْتُ الْحَسَنَ  
 وَمُذْ كُنْتُ طِفْلاً وَجَدْتُ الْحَسَنَ  
 وَمُذْ كُنْتُ طِفْلاً عَرَفْتُ الْحَسَنَ  
 سَلَامٌ عَلَيْكَ فَأَنْتَ السَّلَامُ  
 وَأَنْتَ الطَّرِيقُ إِلَى الْكِبَرِيَاءِ  
 وَإِنَّكَ مُعْتَصِمُ الْخَائِفِينَ  
 لَقَدْ قُلْتُ لِلنَّفْسِ هَذَا طَرِيقَكَ  
 وَخُضْتُ وَقَدْ ظَفِرَ الْمَوْتُ ظَفِيراً  
 وَمَا دَارَ حَوْلَكَ بَلْ أَنْتَ دُرَّتْ  
 مِنَ الرَّفْضِ وَالْكَبَرِيَاءِ الْعَظِيمَةِ  
 فَمَسَّكَ مِنْ دُونِ قَصْدٍ فَمَاتَ

سَلَامٌ لِمِثْوَاكِ مِنْ مَحْرَمٍ  
 مَنَاراً إِلَى ضَوْئِهِ أَنْتَمِي  
 مَلَاذاً بِأَسْوَارِهِ أَحْتَمِي  
 رِضَاعاً وَلِلَّانِ لَمْ أَفْطَمِ  
 وَإِنْ كُنْتُ مُخْتَضِباً بِالدَّمِ  
 بِمَا دِيسَ مِنْ صَدْرِكَ الْأَكْرَمِ  
 يَا مَنْ مِنَ الدَّبْحِ لَمْ يُعْصَمِ  
 لَاقِي بِهِ الْمَوْتَ كِي تَسْلَمِ  
 فَمَا فِيهِ لِلرُّوحِ مِنْ مَخْرَمِ  
 عَلَى الْمَوْتِ فِي زَرَدٍ مُحْكَمِ  
 حَتَّى بَصُرْتَ وَحَتَّى عَمِي  
 وَأَبْقَاكِ نَجْماً مِنَ الْأَنْجَمِ

القصيدة طويلة، إلى أن يقول في أبيات جميلة جداً لم أقرأ مثلها في غاية الأدب وهو يتحدث عن عقيلة بني هاشم:

سَلَامٌ عَلَى هَالَةٍ ارْتَقَتْ  
 طَهَوْرٌ مُتَوَجِّهٌُ بِالْجَلَالِ  
 تَهَاوَتْ فَصَاحَهُ كُلُّ الرِّجَالِ  
 وَرَاحَتْ تُزَعِزُ عَرْشَ الضَّلَالِ  
 وَلَوْ كَانَ لِلْأَرْضِ بَعْضُ الْحَيَاءِ  
 إِلَى أَنْ يَقُولَ:

بِأَلْوَانِهَا مُرْتَقَى مَرِيَمِ  
 مَخْضَبَةٌ بِالدَّمِ الْعِنْدَمِ  
 أُمَامٌ تَفْجَّعَهَا الْمَلْهَمِ  
 بِصَوْتٍ بِأَوْجَاعِهِ مُفْعَمِ  
 لَمَادَتْ بِأَحْرَفِهَا الْيَتَمِ

إِذَا قِيلَ يَا ذَا الْفَقَارِ احْسَمِي  
 يُلَاقِي فِي الْحَلْكِ الْأَعْتَمِ  
 وَتَذْخُرُ بِالْوَجْعِ الْمَلْهَمِ

وَيَا ابْنَ الَّذِي سَيْفُهُ مَا يَزَالُ  
 فِيَا سَيْدِي يَا سَنَا كَرْبَلَاءِ  
 تَشَعَّ مَنَائِرُهُ بِالضِّيَاءِ

ويا عطشاً كلَّ جذب العصور      سينهل من نورك الزَّمزم  
يا حَسين..

سأطبعُ ثغري على موطئيك      سَلامٌ لأرضك من مَلثم  
فداء.. فداء، ألا ترون القصيدة تخرج من بين طياتها: فداء.. فداء لمتواك من مضجع..

سابقى حديثنا هو هذا، كربلاء هاجسنا ومن كربلاء إلى كربلاء..

شاعرنا يسألكها ونأثرنا يناجيها، نحن قرييون منها وإن كُنَّا بعيدين.

جينا ننشد كربلا مضيعينها      بيها زينب قالوا ميسرينها

يسروها ولا لها واحد فزع      وشال حادي ضعونها بساع وقطع

جينا ننشد وين ابو فاضل وقع      ما تدلونه الشريعة وينها

أيها الكربلائيون.

وسؤالٌ إلى قمر الهاشميين:

جينا ننشد هم صدق بالشَّام عيد      وحطوا بطشت الذهب راس الشَّهيد

وزينب مدخلينها لديوانه يزيد      واجفة يـو جاعدة مخليينها

جينا ننشد.. جينا ننشد كربلا مضيعينها..

سابقى شاعرنا يسألك.. ويبقى ناثرنا يناشد..

اللَّهُمَّ يَا رَبَّ الْحُسَيْنِ بِحَقِّ الْحُسَيْنِ إِشْفِ صَدْرَ الْحُسَيْنِ بِظُهُورِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ السَّلَامُ..  
أَسْأَلُكُمْ الدَّعَاءَ جَمِيعاً

وصلَّى الله على سيدنا ونبيِّنا مُحَمَّدٍ وآلهِ الأطيبين الأطهرين.

وفي الختام:

لا بُدَّ من التنبيه الى أنَّنا حاولنا نقل نصوص المجلس كما هي وهذا المطبوع لا يخلو من أخطاء وهفوات فمن أراد الدقة الكاملة عليه مراجعة تسجيل المجلس بصورة الفيديو أو الأوديو على موقع القمر.

مع التحيات

المتابعة

القمر

1439هـ

2017 م

---

على ضفاف الحروف، شرح عينية الجواهري: متوفر بالفيديو والأوديو على موقع القمر

[www.alqamar.tv](http://www.alqamar.tv)